

## نشأة المسرح وتطور الفن المسرحي

عند ذكر كلمة "مسرح" نفكر في نوع خاص من الترفيه، أو في ومجهز لتقديم هذا النوع من الترفيه. ويأمل البعض مبنى معين مُعد الضحك، أو قصة شيقة للهروب من مشقة في قضاء وقت ممتع مع ترجع نشأته إلى السحر، اليوم. والمسرح، مثله مثل كافة الفنون، الإنسان، وإحالة أي محاولة التأثير على الطبيعة بقوة إرادة الأفكار إلى أشياء.

وفي الأزمنة الأولى من المسرح كان كل فرد ممثلاً، ولا تفرقة بين وبقية القبيلة، والدنيا هي المسرح. وكانت منصة التمثيل الممثل وكان الحاضرون نوعين: مؤدين ومريدين. وبعد ذلك مكاناً مقدساً، يفصل بين الممثلين والنظارة سوى كانت المنصة هي المسرح، ولا مادياً محسوساً. وأخيراً خليج مجازي معنوي، يصبح أخيراً خليجاً أصبح يفصل بين الممثل ومشاهديه آلاف الأميال.

وبين بداية المسرح وما انتهى إليه شبه غريب، من حيث إن مكان الدنيا. وتطورت الدراما تطوراً جبرياً في عدة مراحل، التمثيل هو التاريخ الطبيعي للدراما، وهذه المراحل هي: ويمكن أن يطلق عليها والدراما بوصفها ديناً، والدراما بوصفها الدراما بوصفها سحراً، والدراما بوصفها علماً زخرفة، والدراما بوصفها أدباً،

وفنون المسرح فنون متكاملة، وبالأحرى فنون يكمل بعضها بعضاً، يمكن أن يقوم بنفسه، بحيث لا تربطه ببقية الفنون وليس منها فن وشيخة، ومن ثم لا بد لمن يدرس أحد المسرحية الأخرى رابطة أو ببقية الفنون المسرحية الأخرى. هذه الفنون، أن يلم إماماً كافياً المسرح، منذ أن نشأ قبل فالممثل يجب أن يتعرف بعمق على تاريخ

نشأة التمثيل، العصور التاريخية حتى اليوم. وتاريخ المسرح يشمل ذلك مع تطور منذ أن كان رقصاً بدائياً، وإنشاداً دينياً، ثم تطوره بعد الأغنية الإنشادية الراقصة، ومصاحبة الموسيقى ودق الطبول لها، حتى ظهرت المسرحية، التي حوّلت نواة هذه الأغنية، التي كان يتعبدون بها، لخالق الكون المحيط بكل شيء البدائيون.

وإذا كان الممثل في حاجة إلى تلك المعرفة ببدايات فكرة المسرح تمثيله، فالمخرج أشد حاجة منه؛ لأنه المهندس المسرحي ليجيد شيء، ويضع لكل حركة تقديرها الأكبر، الذي يرسم كل

إن الثقافة المسرحية الواسعة، تؤدي إلى فن مسرحي عظيم. وقد الكتاب المسرحيين في تاريخ المسرح، هم أولئك الكتاب كان أعظم المسرح، وتربوا في أحضانه، ونهلوا من الذين شبوا في كنف بهم ظروف مسارحهم موارد مباشرة. كان أولئك يكتبون وفي تنفيذه لما وإمكاناتها وفي حسابهم كل صغيرة وكبيرة، مما يمكن يدور في أذهانهم، وتخطه أقلامهم

ما سبق يسر مهمة المخرج، والممثل، ومصمم الديكور، ومهندس الإضاءة، بل يسر مهمة عمال الأثاث، ومغيرو المناظر

إن المسرحية أو الدراما، من الرقص البدائي إلى التمثيلية الحديثة، الطقوس الدينية إلى التمثيل الدنيوي، ومن المأساة اليونانية ومن المتحركة"، كل ذلك في مظاهره المربكة المحيرة إلى "الصور وعن "المسرحية" أو "الدراما". لذلك "يسجل تعريفاً عن "المسرح للمسرح الذي هو ملتقى كل لا يمكن الاهتداء إلى تعريف محدد الفنون.

وقد ألف المؤلفون وترجم المترجمون كتباً كثيرة في كل موضوعات

حده "الإخراج والتمثيل، والإضاءة، والديكور، الخ"، المسرح على  
ينتفع بها إلا المتخصص في أي فرع منها، ومن ثم كانت كتباً لا  
بما يجده في كتابه هذا، إلا إذا وحتى هذا المتخصص لا يكاد ينتفع  
الفن المسرحي وسائر أقام الصلة بين الفرع الذي يدرسه من فروع  
هذه الفروع.

يأتي الرقص في المرتبة الأولى مباشرة بعد ما تؤديه الشعوب  
الأعمال التي تضمن لها حاجاتها الضرورية المادية من البدائية من  
طعام ومسكن.

والرقص أقدم الوسائل التي كان الناس يعبرون بها عن انفعالاتهم،  
الخطوة الأولى نحو الفنون، بل إن الإنسان المتحضر ومن ثم كان  
من النواهي والمحظورات التي يتلقنها، في الزمن الحديث بالرغم  
انفعالاته المفرحة بطريقة وروح التحفظ التي يشب عليها، يعبر عن  
التعبيرية، وقلة غريزية، والإنسان البدائي، بالرغم من فقر وسائله  
في محصوله من أوليات الكلمات المنطوقة، كانت وسيلته الشائعة  
التعبير عن أعرق مشاعره هي الحركة الرتيبة الموزونة. وإذا كان  
والشمس يطلعان ويغربان في نظام ثابت، وكانت ضربات قلبه القمر  
كان طبيعياً لهذا السبب أن يبتكر الحركة ضربات إيقاعية، فقد  
فرح وبهجة الإيقاعية يعكس بها ما يخامره من

وكان هذا الإنسان البدائي يرقص بدافع المسرة، ولكون الرقص  
فهو يتحدث إلى آلهته بلغة الرقص، ويصلي لهم طقساً دينياً  
الراقصة، وإذ لم تكن هذه الحركات ويشكرهم، ويثني عليهم بحركاته  
أن حركته المرسومة ذات الخطة شيئاً مسرحياً مؤثراً أو تمثيلياً، إلا  
المسرح كانت تنطوي على نواة المسرحية أو بذرة.

والدراما التي من هذا القبيل، وهي الفن الذي يكون فيه الفعل مادة

أصيلة، لم تنشأ من الرقص البدائي فحسب بل حين يجري محورية  
وبين الشعر التزاوج فيما بعد بينها.

وإذا كانت رقصات الطقوس الدينية، ورقصات الزواج هي جذور  
الميلودراما الحديثة، فلا يمكن على وجه التحديد معرفة التراجيديا أو  
المضحك كانت قبائل ما قبل التاريخ تمارسه أي نوع من الرقص.

ولا يعرف أحد متى كتبت أول مسرحية تحديداً، وإن كان التاريخ  
المسرح إلى عام أربعة آلاف قبل الميلاد، ولا شك أن يرجع بتاريخ  
من ذلك، ولكن البداية الحقيقية التي تعيننا المسرح يعود إلى أبعد  
نسبياً هي بداية المسرح في بلاد اليونان وتحدد نشأة المسرح تحديداً  
وأول تاريخ مهم يصادفنا هو عام 535 قبل الميلاد، ففي ذلك العام فاز  
تيسبس" الذي يُعد بحق أول " 535 قبل الميلاد، ففي ذلك العام فاز  
هذا الخبر تتضاءل ممثل في أول مسابقة تراجيدية. غير أن أهمية  
أثينا، إلى جانب حقيقة كبرى ثابتة على وجه اليقين هي أن مدينة  
تلك المدينة اليونانية، قدمت للعالم فجأة وخلال قرن واحد فيما بين  
القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أربعة من أكبر كتاب المسرح، إن  
يكونوا هم آباء المسرح الحقيقيين الذين لا آباء قبلهم وهم: لم  
و"سوفوكليس" و"يوربيدس" **Aeschylus** "أسخيلوس  
**Aristophanes** و"أريستوفنس" **Euripides**.

وإذا وقفنا على النواة الأولى لبدء فكرة المسرحية أو الدراما وهو  
فإن التاريخ لم يجلب الكثير عن المسارح ذاتها، حيث لا الرقص،  
إلا شيئاً قليلاً، حيث كانت تقام الاحتفالات في نستطيع الاستنتاج  
يلتف العامة حول مقدمي تلك العروض الطرقات وفي الدروب، حيث  
عليهم الجوقة، الراقصة. وهؤلاء العامة من يمكن أن نطلق  
والراقصين من يمكن أن نطلق عليهم الممثلين. على أن ثمة عادة  
من عادات الرقص الظاهرية انتشرت انتشاراً ملحوظاً وهي عادة

**[الأقنعة، إننا لا نجد في المتاحف الاثنوجرافية]1 استعمال أكثر استرعاء للأنظار من الأقنعة ذات شيئاً هو Anthological الطقوس الدينية الألوان الصارخة التي كانت تستعمل في**

أما عن القصة المسرحية فقد ذكر "روبرت آدموند" المؤرخ تخيلياً لمثل هذه النشأة التلقائية للقصة المسرحية، المسرحي وصفاً القائمة على حادثة قصصية حقيقية، أو حين قرر أن رقصة القنص إعادة سرد قصة هذه الحادثة مأترة من المآثر الباهرة قد نشأت من العصر الحجري، حول نار المعسكر. ولو تصورنا ما كان يجري في عصر الكهوف والماموث، وتصوير المظلمات المائية فوق جدران الكهوف، وقد أمسى الليل، وجلس زعماء القبيلة معاً، وقد قتلوا هو زعيم القبيلة يثب واقفاً ويقول: "لقد قتلت الأسد، أنا أسداً، وها قصصت أثره فهجم عليّ فقذفته بحررتي فخر صريعاً"، الذي قتلته، المعركة إيقاعياً وسط أصوات الطبول، وتمثيله ثم يبدأ في تمثيل ثم ترديده لعبارات الشجاعة حين قتل لخوفه من الأسد وهو يهاجمه، بكل عناصرها المعروفة الآن، الأسد. في هذه اللحظة تولد المسرحية لعباس ابن فرناس وإن كانت بغير تقنية على الإطلاق، وإن لم ننكر البدائي أنه فضل خياله المحلق في الطيران، فلا ننكر على الإنسان الأب الأول للمسرح.

ولا بد من القول بأن تلك الشعوب البدائية لم توف حقها في لندرة المعلومات، وإما لتواضع الأداء المسرحي قياساً الدراسة، إما مباشرة على ما تلا هؤلاء.

نشأت الدراما "المسرحية" من الاحتفالات والأعياد الديونيزية، ومن والرقصات والأناشيد التي كانت تُنشد، ومن المواكب التي الطقوس لديونيز. وعنده شعب اليونان على أنه إله لهم فقط كانت تقام تكريماً يكرمونه في مهرجانات مفعمة بالبهجة من دون الناس، وكانوا

## وألوان من الشعائر الدينية المعقدة

ثم نسج حماة الدين أسطورة من أساطيرهم يعلنون بها مجيء المكان المكرس لحفلات البسط هذه يسمى "مسرحاً"، ديونيز. وكان بالآلهة يسمون "كهنة"، ثم أصبحوا وأصبح بعض المحتفين غيرهم ممن يتولون قيادة يعرفون فيما بعد "بالممثلين". وأصبح الشعراء"، ثم " الإنشاد، والذين يمكنهم نظم أناشيد جديدة يسمون اتسعت اختصاصات الشعراء حتى أطلق عليهم آخر الأمر اسم الكتاب المسرحيين". كما أطلق اسم "الجمهور" أو "النظارة" على " وهؤلاء ممن لا يطلبون شيئاً غير المشاركة في تمجيد غير هؤلاء في حفلات تكريمه والثناء عليه ديونيز تمجيداً عاطفياً

واتخذت الدراما لنفسها عنصراً جديداً مولداً عن الحركة الراقصة. يقترب الرقص من المسرحية، ففي الميدان الذي اقترب فيه أما أين البدائيين ورقص رقصاً معبراً فيه عن انتصاره في أحد الأشخاص حتى رأى عدوه، ثم كيف اصطدم به معركة، مبيناً كيف تلصص كيف قتله وفصل رأسه عن وحاربه يداً بيد، ثم كيف كان يتفاداه، ثم الصحيحة. أما جسمه، كان رقصه ذلك شديد القرب من المسرحية الرائعة الرقصات الغرامية الصامتة فتفاوتت بين المشاهد الثنائية. وبين الاستعراضات التي قد تبدو من الاستعراضات غير المحتشمة

وقد مارست جميع القبائل البدائية رقصات الحرب ممارسة فعلية، رقصات الحب، فضلاً عن الرقصات الدينية التي كانت كما مارست وقتئذ تسود المجتمع الإغريقي

أما المسارح فتكاد تكون أمراً مجهولاً يصعب استنتاج آثاره إلا شيئاً قليلاً. والنصوص القديمة كافة، وخالصة مسرحيات الآلام، البدائية، كل ذلك يؤكد حقيقة مؤداها أن أول مسرح والرقصات

باقية تقترن بمسرح مبني، وبطريقة في كامل، وأول مسرحية قديمة صورة المسرح اليوناني)، العرض، هو المسرح اليوناني (أنظر وطريقة العرض و(شكل المسرح اليوناني)، والمسرحية اليونانية اليونانية.

## المسرح عند الإغريق 1.

كان "جو" 525 - 456 ق م، أول كتاب المسرح العظام من و"سلاميس Marathon ماراتون" المبرزين في معركتي الأمور، ولا راغباً في ، فلم يكن الرجل منشغلاً بتوافه "Salamis والتجارب ما يريد توفير التسلية للجمهور بل كان لديه من الأفكار عظيمة إشاعته وإشراك الناس فيه، فكانت مسرحياته بعيدة المدى، التأثير. والظن أنه كتب تسعين مسرحية لم يبق لنا منها غير سبع الضارعات، والفرس، وبروميثيوس، وسبعة ضد طيبة، وهي والأورستيا هي في الواقع ثلاث مسرحيات: ومصافدا، وأورستيا وربات الإحسان المنعمات أجاممنون، وحاملات القرابين،

أما "سوفوكليس" 496 - 406 ق م، فكانت حياته أقل إثارة من إلا أنه كان أعظم منه كاتباً مسرحياً، وكاد يبلغ ، "حياة" أسخيلوس أعماله مرتبة الكمال، حيث ظلت مهارته في حياته الخاصة وفي ومثلاً أعلى لهم طوال خمسة الحرفية معياراً للكتاب المسرحيين في التفكير وعشرين قرناً تقريباً، حيث اتسمت أعماله بالعمق والثراء في التعبير والحكمة في صناعة التوتر المسرحي وإثارة التهكم الدرامي. وكذلك بقيت لنا من أعماله سبع مسرحيات وهي: وإلكترا، وأوديب في كولون، وأجاس، وأنتيجون، أوديب ملكاً، والتراقيات، وفيلوكيتيس.

ويرى الكثيرون أن أوديب ملكاً هي أكمل مسرحية كتبت على إطلاق

**Aristotle** نشأته حتى الآن، وقد عدها أرسطو المسرح منذ كتابه النقدي "فن الشعر"، وقد نموذجاً لكثير مما تعرض له في المنسوجة بترابط، امتدحها، خاصة حبكتها المشتبكة، وأحداثها ووضوح الدوافع.

أما آخر كُتاب التراجيديا الكبار هو "يوربيدس 484 - 406 ق م"، للإشارة إلى بعض الفروق الأساسية بينه وبين "أسخيلوس" ويكفي الأقوال الشائعة بشأنه مثل، "كتب أسخيلوس و"سوفوكليس" بعض الأبطال، أما يوربيدس فيكتب عن عن الآلهة، وكتب سوفوكليس عن "البشر".

ولا أدل على العلاقة بين الكاتب المسرحي وبيئته من الإشارة إلى ويوربيدس، فقد ولد الأول في أسرة غنية وثرية لها قدر أسخيلوس معركة ماراثون، وقتها كانت أثينا شابة مليئة ومكانة، وعاش أيام حياته نقيضاً تماماً لما عاشه بالأمل. أما يوربيدس فقد كانت أحاطت به. أسخيلوس، وعكست مسرحياته بوضوح الظروف التي، "وقد وصلنا من مسرحه ثماني عشرة مسرحة أشهرها: "إكترا ميديا"، "النساء الطرواديات"، "هيبوليتس"، "أفيجينيا في " "أوليس".

والسمات الرئيسة للتراجيديا اليونانية هي مجموعة من الخصائص الآتية:

أ. ليس من اللازم أن تنتهي التراجيديا اليونانية دائماً بموت الرئيسة أو الممثل الأول، أما الموضوع فهو، كما أشار الشخصية جدي له قدر وحجم أرسطو دائماً، موضوع

ب. تستغرق الواحدة من التراجيديات اليونانية ما يزيد قليلاً على



فالأورستايا بمسرحياتها الثلاث تستغرق تقريباً الوقت نفسه الساعة،  
تمثيل مسرحيتي شكسبير: "هاملت" و"الملك لير". الذي يستغرقه  
الضوء على مشكلة الوحدات الكلاسيكية وقد تلقي هذه الحقيقة بعض  
للمناقشة. فوحدة الزمن تستلزم أن الثلاث التي طالما كانت موضوعاً  
تستلزم أن تنحصر تقع الأحداث في يوم واحد، ووحدة المكان  
الأحداث في مكان واحد، ووحدة الفعل تستلزم ألا يكون في  
المسرحية غير حبكة مسرحية واحدة.

ج. يتضح مباشرة، لمن يقرأ التراجيديات اليونانية، أن الجوقة تؤدي  
دوراً كبيراً، وهي تنفرد بالكثير من أجود الشعر في التراجيديات فيها  
بل سمح لها بالاشتراك في الفعل الدرامي، وتحمل اليونانية،  
من الأفكار والآراء مسؤولية التعبير عن الكثير.

د. قصد الأغريق بالتارجيديا أن تؤدي لهم دوراً خاصاً، هو تحقيق  
الروح عن طريق الشفقة والخوف، ولا يستطيع أحد أن يجزم تطهير  
الكلام تماماً بأنه يفهم معنى هذا.